(131) بالمعاني الأصلية ، أو هي مقاربة ومجاورة لها ، كما هي الحال في استعمالات المجاز العقلي في القرآن ، بما يتوصل اليه بقرينة ذهنية نصل معها الى مناخ مجازيته الفعلية بما أضفته من مسلك دقيق قد لا تتوصل اليه الا الأفهام الثاقبة ، والطباع الرقيقة ، كما في قوله تعالى : (والسماء ذات الرّجع * والأرض ذات الصّدع* إنه لقول فصل * وما هو بالهزل *)(1) . فأنت ترى أن الفصل والهزل ، وهما ههنا وصفان للقرآن الكريم ، والوصفية هنا قد تكون أدل على المعنى المراد من المصدرية ؛ وذلك لأن الوصفية قد تغطي الدلالة الإيحائية مضافا الى الدلالة المركزية بأن : هذا الوصف فضلا عن كونه مصدرا فهو مما يصلح أن يوصف به هذا الكتاب العظيم ، فيكون التأكيد على جديته وحاكميته أرقى من خلال التعبير النافذ ، فيكون ذلك ألصق به ، والمراد منه أشد وضوحا من إرادة المصدر بمفرده ، فاشتمل على المعنيين بوقت واحد ، وهذا أبرز معلم من معالم الاستعمال المجازي في القرآن . وقد عقب أستاذنا الجليل المرحوم الدكتور أحمد عبد الستار الجواري على هذا الملحظ الدقيق فقال مشيرا للنموذج القرآني الآنف : " ولعل من أهم الأسباب التي ميزت أساليب العربية بمثل هذه المزية قدم اللسان العربي ، وطول تداوله ، وكثرة تصرفه في المعاني ، بحيث تكتسب الألفاظ المفردة فيه معاني مضافة مجاورة لمعانيها الأصلية ، فتمتد هذه فضل امتداد ، حتى تصير المعاني المجاورة ، بعد لأي وطول إلاف ، كأنها جزء من تلك المعاني الأصلية ، أو قرين مقارن مساو لها في الدلالة ، وذلك هو الذي يعبر عنه علماء البلاغة بقولهم في (المجاز العقلي) أنه : إسناد الفعل أو ما هو بمنزلته(2) . وما يقال هنا يقال بالنسبة لقوله تعالى : (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين *)(3) . ومعلوم أن إسناد البكاء الى السماء والأرض معا ،

_____

(1) الطارق : 11 ـ 14 .

(2) أحمد عبد الستار الجواري ، نحو المعاني : 124 . (3) الدخان : 29 .